



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

**أولاً: أذكر القراء الكرام ونفسي بآيتين من كتاب الله دالتين على اثنتين من سنن الله:**

الأولى: قوله تعالى في أعقاب غزوة أحد: **(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا يَبْنِ النَّاسُ)** [آل عمران:140].

وهي دالة على سنة المدافعة كما في بدر ثم أحد، ثم تكون العاقبة لأتباع الرسل.

الثانية: قوله تعالى: **(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ)** [البقرة:251] في التعقيب على قصة طالوت وجالوت.

ومثله قوله تعالى: **(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا)** [الحج:40]، وهذا بعد قوله تعالى: **(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلُمُوا)** [الحج:39]، إلى قوله: **(وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ)** [الحج:41].

فهذه سنة المدافعة.

والدفع/ كما قال العلماء يكون بأمور كثيرة، على رأسها: الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**ثانياً: المحتسبون يدورون بين السنتين:**

**الأولى: مدافعة الباطل والمنكرات؛** حتى لا تفسد الأرض بالمنكرات والعقوبات الإلهية التي فيها الخوف والجوع والنقص وألوان العذاب في الدنيا، ثم العذاب الشديد يوم القيامة.

الثانية: استحضار سنة المداولة، فمرة يقوى الاحتساب وأهله، ثم تأتي مرة أخرى ويقوى الباطل وأهله...

**وقوة الباطل أو إدالته في بعض الأحيان كما في غزوة أحد فيه دروس:**

- 1- تمحيص المؤمنين في الابتلاء والامتحان لمغفرة ذنوبهم ورفع درجاتهم.
- 2- كشف أهل النفاق الذين يظهر نفاقهم المخفي إذا صار للباطل صولة وقوة.
- 3- محق الباطل بغرورهم وانكشافهم وزيادة آثامهم؛ بسبب إجرامهم.
- 4- صفاء الحق وظهور رايته من خلال المحنة.

**ثالثاً: الخلاصة والدروس:**

**(1 أن الصراع بين الحق والباطل وما يتبعه من المداولة والمدافعة باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. وعلى هذا:**

1- تبطل النظرية الشيوعية التي تدعي أن الناس يعيشون في ظلها في سلام ووثام، وأنه بالتسوية بين الناس تزول الاختلافات والصراع بين الناس.

2- وتبطل النظرية الليبرالية التي تزعم أنه في ظل الحرية والديمقراطية تزول الفروقات ويرفع الصراع.

3- وتبطل كل نظرية صوفية أو مثالية كما تدعي يمكن أن يسود معها عدم اختلاف وصراع...

**(2 نظرية صدام الحضارات لها شقان:**

1- شق باطل، وهو أصل هذه النظرية، وهو الزعم بأن الصدام بين الإسلام والحضارة الغربية؛ لأن الإسلام ضد الحضارة والتقدم؛ لأنه رجعي ومتخلف، وهذا من أعظم الباطل.

2- شق صحيح، وهو أن الصراع بين الإسلام والحضارة الغربية حق، وهو باق؛ لأنه صراع بين الكفر والإيمان والحق والباطل والشرك والتوحيد، والأخلاق الفاضلة والإباحية...إلخ.

**(3 سنة المدافعة والمداولة سنة دائمة وباقية، ومن ملامحها:**

1- الصراع بين القوى الكبرى الاتحاد السوفيتي- أمريكا والغرب لا يبقى، وقد ظهرت بوادره منذ سنوات حين انهيار الاتحاد السوفيتي.

2- لا تبقى قوة هي الأقوى والمتحكمة، سنة الله أن الله يهيئ من يدافعها، وعلى هذا فقوة أمريكا ومن معها لن تبقى، بل لا بد من دورة الصراع والمدافعة والمداولة.

**(4 المسلمون لهم النصيب الأكبر من هذا التداول والمدافعة:**

1- لأن دينهم هو الدين الحق على وجه الأرض، ولا حق غيره من الأديان والملل والمذاهب والفلسفات.

2- وهذا الإسلام باق لن يقضى عليه، كما جاءت الأدلة في بقاء الطائفة المنصورة، وبقاء الإسلام إلى أشراف الساعة الكبرى.

3- الإسلام فيه من الأصول العلمية والعملية والمقومات ما يجعله منازلًا قويًا لأي قوة مهما بلغت.

(5) لا بدّ للمسلمين في ظل هذا الصراع والتدافع من:

1- الأخذ بأسباب النصر الشرعية من: الإيمان، والتوبة، والتوحيد، والعبادة، والطاعة، والاستقامة، والبعد عن المعاصي والمحرمات. والصدق مع الله في كل ذلك، والبعد عن النفاق والرياء، ومن ذلك: إحياء الجهاد والاحتساب.

2- الأخذ بالأسباب المادية، وعلى رأسها:

أ- اجتماع كلمة المسلمين من أهل السنة ووحدة صفوفهم.

ب- الاستعداد بالقوة المادية العسكرية.. وغيرها... ولا بدّ من الاستقلال فيها، وعدم الاعتماد على القوى الأخرى في هذا الجانب.

ت- وعي الأمة بخطر الركون إلى الأعداء، وتعليمهم أسباب النصر وأسباب الهزيمة.

ث- الإعداد الحقيقي للجهاد في سبيل الله بقواعده وضوابطه.

ج- الحذر من الغلو ومن الجفاء، فهما داءان عضالان.

ح- الصبر والمصابرة، والآيات في ذلك كثيرة.

رابطه علماء المسلمين

المصادر: